السلطة والانضباط اكثر من أي وقت مضى . لكن الشيء الذي استأثر باهتمام أوروبا كان المدى الموسع والتحسين الأكبر جداً والذي طرأ على تقنياتها لاستقبال الشرق . وعندما كشف الشرق بصورة محددة عن عمر لغاته ــ عند منعطف القرن الثامن عشر ــ مما أدى إلى اهمال واماتة شجرة النسب الالهي العبرانية ، كانت مجموعة من الأوروبيين هي التي قامت بالاكتشاف ، ونقلته إلى غيرها من العلماء الباحثين ، وحافظت على الاكتشاف في العلم الجديد للفيلولوجيا الهندو أوروبية . لقد ولد علم قوي جديد للنظر إلى الشرق اللغوي ، وكما أظهر فوكو في « نظام الأشياء » ، ولدت مع هذا العلم شبكة كاملة من الاهتمامات العلمية المتصلة بالموضوع . وعلى نحو مماثل ، أقدم وليم بكفورد وبايرون وغوته وهوغو على إعادة بناء الشرق بواسطة فنهم ، وجعلوا ألوانه واضواءه وأناسه مرئيين من خلال صورهم وايقاعاتهم وموضوعاتهم الرئيسية . وفي أقصى الحالات فان الشرق « الحقيقي » أثار حفيظة الكاتب في الوصول إلى رؤيته ، لكنه من النادر جداً هدى تلك الرؤية وارشدها .

واستجاب الاستشراق للحضارة التي انتجته اكثر من استجابته لموضوعها المزعوم والذي جرى انتاجه في الغرب ايضاً . وهكذا فان تاريخ الاستشراق يتسم بأمرين على السواء : تماسك داخلي ومجموعة مترابطة باتساق وانتظام للغاية من العلاقات مع الثقافة (الحضارة) السائدة والمحيطة به . إن تحليلاتي بناء على ذلك تحاول ان تبين شكل الحقل الاستشراقي وتنظيمه الداخلي ، ورواده وثقاته من ذوي السلطة الأبوية ، ونصوصه المعترف بها ، وأفكاره التسبيحية وأشخاصه القدوات ، واتباعه وشارحيه وموسعيه وسلطاته الجديدة ، مثلما أحاول ايضاً أن أشرح وأفسر كيف استعار الاستشراق وأخذ المعلومات مراراً عن الأفكار « القوية » والعقائد والاتجاهات المسيطرة على الثقافة ، وهكذا كان هناك (ويوجد هناك) شرق لغوي ، وشرق فرويدي ، وشرق اشبنغلري ، وشرق داروييني ، وشرق عرقي ــ وهكذا دواليك ، ومع ذلك فانه لم يوجد أبداً شيء من قبيل الشرق الخالص أو غير المشروط . وبالمماثل ، لم يوجد أبداً شكل غير مادي للاستشراق ، كما لم توجد على الاطلاق « فكرة » بريئة عن الشرق . إنني اختلف في هذا الاعتقاد الكامن وفي النتائج المنهجية المستسقاة منه عن العلماء الباحثين الذين يدرسون تاريخ الأفكار . ذلك أن التشديدات والشكل التنفيذي وفوق كل شيء الفعالية المادية للعبارات التي تطلقها المقالة الاستشراقية هي ممكنة بطرق تجعل أي تاريخ منغلق للأفكار يميل إلى الاستخفاف بها كلياً . والاستشراق بدون هذه التشديدات وتلك الفعالية المادية من شأنه أن يكون مجرد فكرة اخرى ، بينما هو بالفعل وقد كان اكثر من مجرد ذلك . لذا فانني أنطلق ليس إلى تفحص الاعمال العلمية فقط ، بل أعمال الأدب والمقالات السياسية والنصوص الصحفية وكتب الرحلات والدراسات الدينية والفيلولوجية أيضاً . وبكلمات اخرى ، ان منظوري الهجيني هو منظور عريض تاريخياً و « انتروبولوجياً » ، لا سيما متى كنت اعتقد بأن جميع النصوص هي دنيوية وظرفية (بالطبع) في طرق تختلف من نوع إلى نوع ، ومن فترة تاريخية إلى فترة تاريخية .

ومع ذلك ، بخلاف ميشيل فوكو ، الذي أدين لعمله إلى حد كبير ، فانني أعتقد بالتأثير المحدد للكتاب الأفراد على تلك الكتلة الجماعية المجهولة من النصوص التي تؤلف تشكيلا استطرادياً مثل الاستشراق . إن الوحدة في المجموعة الكبيرة من النصوص التي أقوم بتحليلها